الباب الثانى

فى التشبيه الواقع فى صفات المياه والأنهار والغدران

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول : فيما قيل فى الأنهار عند تجعيدها بمرّ الريح عليها .

الفصل الثانى : فى تشبيه الأنهار الهادئة والغدران الساكنة .

الفصل الثالث : فى ذكر التشبيه الواقع فى تغيّر ماء الأنهار بالمدود .

الفصل الرابع : فيما يتعلق بوصف الأنهار وذكر ما قيل من التشبيه فى المراكب .

الفصل الخامس: فى تشبيه الفوّارات وما شابهها .

الفصل الأول

فيما قيل فى الأنهار عند تجعيدها بمر الريح عليها

ومن أحسن ما قيل فى ذلك قول الأمير تميم بن المعز[1] :

يومٌ لنَا بالنِّيلِ مُخْتَصرٌ ... ولكلِّ وقتٍ مسرّةٍ قِصَرُ[2]

والسُّفْنُ تَصْعَدُ كالخُيُول بِنَا ... فيهِ وجيشُ المَاءِ ينْحَدِرُ

وكأَنَّما أَمْواجُــه عُكَنٌ[3] ... وكأَنَّما دَارَاتُـــه سُرَرُ

وقال ابنُ وكيع فى تشْبيهه بالعُكَنِ :

خُذْها بِكَفَّىْ فاتِرِ الجُفُونِ ... علَىَ خَلِيجٍ أَمْلَسِ المُتُونِ

أَمواجُــه كعُكَنِ البُطُونِ ... ذِى زَرَدٍ كالزَّرَدِ الموْضُونِ

كسَلْخِ أَيْمٍ أَو كسَلْخ نُونِ[4]

وله أَيضاً :

سقَانِىَ كأْسَ الرَّاحِ شَاطِئُ جَدْولٍ ... تدارِيجُه يحْكِينَ بطناً مُعَكَّنَا

إِذا صَافَحَتْهُ راحةُ الرِّيحِ خِلْتَها ... بَتكْسِيرِهَا إِيَّاهُ ثَوْباً مغبَّنَا[5]

وإِنما أَخذ الأَمير تميم أَبياته من قول الصَّنُوبَرِىّ :

طرِبْتُ إِلى شَطِّ الفُراتِ عَشِيَّةً ... بكُلِّ فتًى كالسَّيْفِ أَرْوَعَ صِنْدِيدِ

---

(١) الأبيات فى الرسالة المصرية ص ١٩ .

(٢) رواية ابن أبى الصلت فى الرسالة : وبكل يوم . . .

(٣) فى الرسالة المصرية« فكأنما أمواجه غرف». والعكن جمع عكنة، ماانطوى وتثنى من لحم البطن.

(٤) فى الرسالة المصرية : كنسج ميم أو كنسج نون ، والموضون المتقارب النسج ، والأيم الحية، والنون نون الكتابة ، والحوت العظيم .

(٥) الغبن ماقطع من أطراف الثوب فأسقط .

وقد عبثتْ فيهِ الصَّبَا فتخالُهُ طريقَ لُجيْنٍ ذَا رُبًى وأخَادِيدِ
تروقُكُ دَارَاتٌ عَليْه كأنَّهَا خَواتِمُ حُسْنٍ فى خُدُود مهاً غِيدِ

وقال الرُّصَافِىُّ الأندلس[1] :

وجدولٍ كاللُّجَيْنِ سائِلْ صافِى الحَشَى أزرقِ الغَلائِلْ
عليــه شَكْلٌ صَنَوْبرِىٌّ . . تُفْتَلُ . مِنْ مائِهِ خَلَاخِلْ

ووجدت منسوباً إلى الوأواء[2] :

شربْنَا على النيل لما بَدا بِمَدٍّهِ يزيدُ ولا ينْقُصُ
فخلنا تحرُّكَ أمواجِه كأَعْطافِ جاريةٍ تَرْقُصُ

وأخذَهُ الحسن بنُ رشيق فقال من قصيدة :

خَلِيلَىَّ هلْ أعْطَيْتُما اللَّحْظَ حقَّهُ من البِرْكَةِ الحَسْناءِ شكلًا ومَنْظَرا
إذَا باشَرَتْ أولى النَّسيمِ حَسِبْتَها من الرَّنَجِ المَفْروكِ[3] ثوباً مُنشَّرَا
كأَنَّ شِبَاكاً أُلْقِيَتْ فى مُتُونها فأَبقَتْ مِثَالاً فوْقَها قَدْ تُسطِّرَا
ويتْرُكُهَا مَرُّ القَبُولِ كما انثَنَتْ معَاطِفُ ثَوْبَىْ راقصٍ قَدْ تَكَسَّرَا

وقال أيضاً وزاد وأجاد :

لدينا بركةٌ كالبدْر حسْناً وليس يُصيبُها كالبَدْر نقْصُ

---

(١) الرصافى الأندلس هو محمد بن غالب ، أبو عبد الله ، توفى سنة ٥٧٢ هـ ، كان شاعر عصره ، وسكن غرناطة وقتاً ومدح صاحبها ، ينظم البديع ، ويبدع المنظوم . قال عنه ابن الأبار ، فى التكملة : « وكان من الرقة وسلاسة الطبع ، وتنقيح التقريض وتجويده على طريقة متحدة » وقال عنه صاحب المغرب منسوباً إلى بعض العلماء: « هو ابن روى الأندلس لحسن اختراعه وتوليده». راجع فيه المغرب فى حلى المغرب جـ ٢ طبع دار المعارف ص ٣٤٢ ، والتكملة لابن الأبار ص ٢٣٧ ، والعماد فى الشذرات ٤ / ٢٤١ . والبيتان فى ديوانه نشر إحسان عباس طبع بيروت سنة ١٩٦٠ .

(٢) البيتان ليسا مذكورين بديوان الوأواء .

(٣) الرنج والرانج : النارجيل ، وهو جوز الهند. المفروك : المصبوغ صبغاً شديداً والمفروكة حلوى تصنع من السميد والسمن والسكر يذر على وجهها الفستق واللوز .والقبول : الريح الطيبة .

كأنَّ الرِّيحَ تأتيها بريَّا حبيبٍ قد تباعد منهُ شَخْصُ
فيُطْرِبُهـا إلى أنْ يعْتَرِيها من الإطرابِ تصفيقٌ ورقْصُ

وهذا المعنى مأخوذ من أبياتٍ وجدتها منسوبةً إلى ابن المعتز ، ولستُ أظنها له :

كأنَّما النِّيلُ إذَا نسيمُ ريحٍ حَرَّكَهْ
بُنَيَّةٌ ترقُصُ فِى غُلالَةٍ مُمَسَّكَهْ
تُرِيكَ مِن تَخْلِيعِها فى كلِّ عُضْوٍ حَرَكَهْ

وأخذ ابن رشيق البيت الثالث من قول ابن وكيع :

قم فاسقِنى قهْوَةً إذَا انْبَعَثَتْ فى باخِلٍ جَادَ بالذى ملَكَهْ
لو خَامرَتْ صَخْرَةً بسوْرتِها لأَحدثت فى سُكُونِها حركَهْ
على غدير إذَا الصَّبا دَرجَتْ فى متْنِه أَظْهَرتْ لَنا حُبُكَهْ
كأَن أيْدِى الرِّياح قدْ بسَطَتْ لنَا على وجْهِ مائهِ شَبَكَهْ

والأَصلُ قول الصَّنوْبرِى :

سقَى حلباً سافكٌ دمعُـه بطيءُ الرقُوِّ إذَا ما سَفَكْ
ميادينُها بُسْطُهُنّ الرِّياض وأَنْهارُهـا وسْطُهُنَّ البِرَكْ
تَرى الرِّيحَ تَنْسجُ من مائِها دُرُوعـاً مُضَعَّفَةً أَو شَبَكْ
كأَنَّ الزُّجَاجَ عليها أُذِيبَ وماءَ اللُّجَيْنِ بها قَدْ سُبِكْ

وقالَ ظافرُ الحدَّاد مِنْ قصيدة :

وطوراً على ماءِ الخليج وقد جَـلا عليهِ نَسيمُ الرِّيحِ كشْحاً مُعَكَّنَا
كأَنَّ حبَابَ الماءِ ثوبٌ مرايشٌ وقد شابَه لونُ الضُّحى فتلوَّنَا
وكانَ كأَحْنَاكِ الظِّباءِ تَثَاءَبَتْ فأَظْهَرْنَ تدريجاً هُناكَ مُغَضَّنَا
إذا برَم التَّيارُ داراتِه حكَى أَنامِلَ خرَّاط تُجرِّد مِدْهَنا

ولمحمد بن الحسن فيها ، وذكر تغيره بالمد[١] :

والنهرُ مكسوٌّ غُلالَةَ فِضَّةٍ وإذَا جَرَى سيْلٌ فثوْبُ نُضَارِ
وإذا استقَامَ رأيتَ صَفْحَةَ مُنْصُلٍ وإذا اسْتدار رأيتَ عِطْفَ سِوارِ

وقال الأَميرُ أَبو فِراس[٢] :

أَنْظُرْ إلى زَهْرِ الرَّبِيعْ والماءِ فى برَكِ البَديعْ
وإذا الرِّياحُ جرَتْ علـ ـهِ فى الذَّهَابِ وفى الرُّجُوعْ
نثَرتْ على بِيض الصَّفَا ثِيح بينَنَا حلَق الدُّرُوعْ

وقال أَبو الصلت من قطعة[٣] :

لِلهِ يوْمِى بِبِـــرْكَةِ الحبشِ والجوُّ بينَ الضِّياءِ والغَبشِ
والنيلُ بينَ الرِّياحِ مضْطَرِبٌ كصَــارمٍ فى يَمِين مُرْتَعِشِ

وقال ابن حمْديس يصِفُ نَهرًا من قطعة[٤] :

له رِعْدةٌ تعتَادُهُ فى انحِدارِه كما تبسُط الكَفُّ البنَانَ وتَقْبِضُ
وتحسَبُه إن حبَّكَتْ متْنَهُ الصَّبَا عمُودًا علاهُ النَّقْشُ وهو مُفَضَّضُ

وقال ظافرُ الحدَّادُ من قصيدةٍ يصفُ نهرًا :

ترى منهُ تحتَ الماءِ دِرْعاً وجوْشَناً وسيفاً بلا غمْد إذَا كانَ واكِدَا
كأَن الصَّبا لما أدارت حبَابَه تُمِرُّ علَى سيْفٍ صَقِيلٍ مبارِدَا

---

(١) الرسالة المصرية ص ١٩ وروايته :

الروضُ مكسو من الأزهار برداً أنيقا مثل ثوب نضار
والنهر مكسو غلالة فضة . يجرى بمسك أو بذوب نضار
فإذا استقام رأيت صفحة منصل وإذا استدار رأيت عطف سوار

المنصل : السيف

(٢) يتيمة الدهر للثعالبى ج ١ ص ٥٨ وفى ديوان أبى فراس ص ١٢٥ .

(٣) الرسالة المصرية ص ٢١ ورواية عجز البيت الأول «والأفق تحت الضياء والغبش» ، والغبش آخر الليل بين الضياء والظلمة .

(٤) ديوان ابن حمديس ص ٢٩١ — ٢٩٢ .

وقال ابنُ رشيق من قصيدة :

والماءُ ساجٍ مستكينٌ هيبةً ... لمعـزِّ دين اللهِ ذِى الآلاءِ[1]
ذوبٌ من البَلُّور عادَ لوقْتِـه ... فى هيْئَة اليـاقُوتَةِ الزَّرْقَاءِ
يَحْكِي المَبارِدَ بالمُتُونِ وتَارَةً ... كبُطُونِ حَيَّاتٍ على رمْضَاءِ

وقال ابنُ المعتزّ من قصيدة[2] :

وكأَن دِرْعاً مُفْرغاً من فِضَّةٍ ... ماءُ الغَدِيرِ جرَتْ عليه صَبَاك

وقال ابن التمَّار الواسطى[3] :

أَما تَرى اليْومَ فى أَثوابِه الجُددِ ... يَحكيكَ يا غُرةَ الأَيام والأَبَدِ
فاشْرَبْ وسقِّ النَّدامى من مُشَعْشَعة ... كلَونِ خَدِّكَ لم تَنْقُصْ ولم تَزِدِ
على خليج[4] إذا هبَّ النَّسِيمُ به ... أَبصَرْتَهُ من حَبيك الرِّيح كالزَّرَد

ومن أَحسن ما قيل ومن أَطْرفِه قولُ المعرى من قصيدة :

وكم تصيَّدْتُ والصِّبا شَرَكِى ... سِرْبَ ظِباءٍ أَلْحَاظُهُنَّ ظُبَا
على غديرٍ بروضةٍ نظَمَتْ ... نَوَّارَها حوْلَ بدْرِهِ شُهُبَا
يذُقُّ فيهِ الغَمامُ أَسْهُمَهُ ... فيكْتَسِى من نِصَالِها حبَبَا
ويُعْجِمُ الطَّلُّ ما تَخُطُّ عَلَى ... صفْحتيْه مرُّ شَمْأَلٍ وصبا
ضرُوبُ وشْى كأَنَّما خلَع الأَيْـ ... ـم عليهِنَّ بُـــرْدَهُ طَرَبَا

---

(١) يقصد المعز بن باديس صاحب القيروان فى عهد الشاعر .
(٢) ديوان ابن المعتز ص ٢٨٠ .
(٣) يتيمة الدهر جـ ٢ ص ٣٧٠ .
(٤) فى اليتيمة : على غدير .

وقال الرُّصافى الأَندلسى فى نهر عليه شجرة[١] :

ومهَلْهَلِ الشَّطَّيْن تحسَبُ أَنَّهُ متسيِّلٌ من دُرَّةٍ لصَفَائِهِ
فاءَتْ عليه مع الهجيرة سَرْحَةٌ صَدِئَتْ لفيئتِها صَفِيحَةُ مائِهِ
فتراهُ أَزرق فى غَلائِلِ سُمْرَةٍ كالدَّارِعِ امْتَلْقَى لِظِلِّ لِوائِهِ

وقال ابن قلاقس من قطعة[٢] :

ومجلسٍ أَشقَّ تَعــارِيجَهُ نهْرٌ كمَا شَقَّ الطَّرُوبُ الرِّدَا
كأَنَّه والمــاءُ فى متْنِه صَرْحُ سُلَيْمانَ الذى مرَّدَا
يلمَعُ كالسَّيْفِ فإِنْ درَّجَتْ مِنْه الصَّبا أَبصَرْتَه مِبْرَدَا

وقال أَيضاً فى بِرْكة[٣] :

قد صَفَتْ واعتلَى الحبَابُ علَيْها فهى سِيَّان مع كُؤوسِ الــرَّاح
يا لهَا أَنْصُلاً بواطِنَ لوْلاَ زرَدٌ ظاهِــرٌ بأَيْدِى الرِّيَــاحِ
أَىُّ دِرْعٍ مَوْضُونَةِ النَّسْجِ تَمْتدْ دُ السَّواقِى مِنْها ببِيضِ الصِّفاحِ

وللمولى تاج الملوك ، نوَّر الله ضريحه[٤] :

أُنْظُرْ إِلى النِّيلِ الَّذِى ظهــرَتْ بــه آياتُ ربِّى
فكأَنــه فى جــرْيِــه دمْعِــى وفى الخَفَقــانِ قَلْبِى

---

(١) الأبيات فى ديوان الرصافى البلنسى بتحقيق الدكتور إحسان عباس ط . دار الثقافة ببيروت ١٩٦٠ .

(٢) الأبيات غير واردة فى الديوان المطبوع ص ٢٦ ورواية الأول « ومهدل . . » .

(٣) وهذه أيضاً غير واردة فى الديوان .

(٤) تاج الملوك أبو سعيد بورى بن أيوب بن شاذى أخو السلطان صلاح الدين ، وكان أصغر أولاد أبيه ، وله ديوان شعر فيه الغث والسمين ، لكنه بالنسبة إلى مثله جيد وتوفى سنة ٥٧٩ هـ راجع ترجمته فى وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٦١ — ٢٦٢ .

الفصل الثانى

فى تشبيه الأنهار الهادئة والغدران الساكنة

من أحسن ما قيل فى ذلك قول الأمير أبى فراس[1] :

وكأنّمـا البركُ الملاءُ يَحُفُّهـا ... أنواعُ ذاك النَّبْـتِ والزَّهْـرِ

بُسُطٌ من الدِّيباج بيضٌ فُرْوِزَتْ ... أطْرافُهـا بفَـراوِزٍ خُضْـرِ

وقال الأمير تميمُ فى بركةِ الحَبَشْ وخليجِ بنى وائل :

كأنَّ البـركةَ الغنّـاءَ لمَّا ... غدَتْ بالماءِ مُفْعَمـةً تمُـوجُ

وقَدْ لاحَ الضُّحَى مِرآةَ قَيْنٍ[2] ... قدْ انصَقَلَتْ ومقْبِضُها الخَلِيجُ

وشاركه ابنُ وكيع فقال :

وقـد حَكَى غَـدِيرُه ... فى زَهْره حينَ اغْتَمَطْ.[3]

مـرآةَ جـالٍ ماهِـرٍ ... مَوْضُـوعَةً فوقَ نمَـطْ.

وقال ابن خفاجة[4] :

للهِ نهـرٌ سالَ فى بطْحَاءِ ... أشْهَى ورُودًا من لَمَى الحَسْنَاءِ

وغدَتْ تحُفُّ به الغُصُونُ كأنَّها ... هُدْبٌ تحُفُّ بمُقْلة سوْدَاءِ

---

(١) غير مذكورة فى ديوانه .

(٢) القين : الحداد أو الصانع .

(٣) اغتمط : اختفى ، والنمط البساط .

(٤) ديوان ابن خفاجة ص ٣٥٦ . ورواية عجز البيت الثانى فى الديوان (بمبقلة زرقاء) .

وقال أبو مطرف بنُ الدبَّاغ فى مثله :

ومطَّـــرَدٍ صِيـــغَ مِنْ لُؤْلؤٍ وقد أعشبَ النَّبْتُ فى جَانِبيْهِ
كأَنَّ ينَابيعَهُ مَحْجَـــرٌ وقُضْبُ الرَّياحِينِ هُدْبٌ عَلَيْهِ

وقال ظافرُ الحدَّاد فى بحر النيل وبركة الحبش[1] وشبيههما من أوضاع أهل مصر :

تـأَملْتُ بحرَ النِّيل طولاً وخَلْفَه من البِرْكةِ الغَنَّـــاءِ شكلٌ مقعَّرُ
فكانَ وقَدْ لاحَتْ بشَطَّيْهِ خُضْرَةٌ وكانتْ وفيها الماءُ باقٍ مُوَقَّـــرُ
عِمامَةَ شربٍ ذِى حواشٍ بِخُضْرةٍ أُضيفَ إليها طيْلَسَانٌ مُقَوَّرُ

وقال أيضاً وأجاد :

للهِ يومٌ أنالَـــ النِّيـــلُ لِحُسْنِه جمْـــلَةٌ وتفْصِيـــلُ
فى مَنْظَرٍ مُشْرِفٍ ذى خَضِرٍ كَأَنَّـــه فى السَّماءِ قنْدِيـــلُ
كأَنَّما البحْرُ عند مفترَقِ الـ ـمَاءِ أُبِنَّ من رأْسها سراويلُ

وقال فى معناه :

أُنْظُرْ إلى الرَّوضَةِ الغَنَّاءِ والنِّيلِ واسمَعْ بَدائع تشْبيهى وتَمْثيلى
وانظُرْ إلى البحْرِ مجموعاً ومفْترِقاً هناكَ أشبهَ شىءٍ بالسَّراوِيل

وقال أيضاً فى المعنى :

والنيـــلُ مثلُ عِمامـــةٍ نُشِرتْ مُحشَّـــاةً بأَخضر

---

(١) بركة الحبش من منازة مصر الإسلامية، وكانت فى ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها بين النيل والجبل. والبيت الأخير « عمامة شرب » ونرجح أنها « عمامة شيخ » حتى يستقيم المعنى .

والجسْرُ فيها كالطِّرازِ ومنْ به رقْمٌ مُصوَّرْ[1]
والبحرُ مِنْ رأْسِ الجزيـ رةِ كالسَّراوِيل المُجَدَّرْ

وقال ابن حمديس فى بركة شَقَّها نهْرٌ[2] :

وزرقاءَ فى ليلِ الشَّباب تَنبَّهَتْ لتَحْبيكِها ريحٌ تهُبُّ معَ الفَجْرِ
يَشُـقُّ حشَاها جـدولٌ مُتكَفِّلٌ بسَقْيِ رياضِ النَّبْتِ فى حُلَلِ الزَّهْرِ
كما ضربَ المِقْدامُ بالسَّيْفِ دارعًا بدِرعٍ فشَقَّ الصَّدْرَ منهُ إلى الخَصْرِ

---

(١) هكذا فى الأصل وربما كانت مابه رقم مصور : والرقم الخط أو الرسم : والمجدر المصاب بالجدرى .

(٢) ديوان ابن حمديس ص ١٨٧ ورواية صدر البيت الأول « وزرقاء فى لون السماء . . . » ، وعجز البيت الثانى « بسقى رياض ألبست حلل الزهر » والثالث « كما طعن المقدام فى الحرب دراعا بعضب فشق . . . » ورواية الديوان أحسن فى عجز البيت الثالث ، لأن فى قوله : دارعاً بدرع ، تكرار .

الفصل الثالث

فى ذكر التشبيه الواقع فى تغير ماء الأنهار بالمدود

وقال أبو بكر الصنوبرى فيه[1] :

ولقد ظَمِئْتُ إلى الفُرا ... تِ بكلِّ ذى كرم ومجْدِ
والشمسُ عند غرُوبهـا ... صفراءُ مذْهَبـةُ الفِرِنْـدِ
والمـاءُ حاشِيتَـاهُ خَضْرا ... وَانٍ مـن آسٍ ورَنْـدِ
تحبُوه أَيْدِى الرِّيحِ إنْ ... وَلَّتْ على قُربٍ وبُعْـدِ
بِطَرائِقٍ من فِضَّـةٍ ... وطـرائِقٍ من لازَوَرْدِ
والسُّفْنُ كالطَّيْرِ انبرَتْ ... فى الجَوِّ من مثْنىً وفَرْدِ
حتَّى إذَا جَزْرُ الفُرَا ... تِ مضَى وأَعقَبَهُ بمـدِّ
أَلْفَيْتَـه وكَـأَنَّـهُ ... مُلْقًى عليـهِ رداءُ وَرْدِ
متَملْمِـلًا كالصَّبِّ أَوْ ... ذِنَ من أَحِبَّتِـه بِصَدِّ
وكأَنَّمـا بحشَاهُ ما ... بِحَشَاى من قلَقٍ ووجْدِ

وقال الأمير تميم[2] :

أَما تَرى الرَّعْدَ بكَى واشْتكَى ... والبرقَ قد أَومَضَ واستَضْحَكَا
وانْظُرْ إلى غيْم كصِبْغِ الدُّجَى ... أَضْحَكَ وجْهَ الأَرْضِ لمَّا بَكَى
وانظُرْ لِماءِ النِّيلِ فى مدِّهِ ... كأَنَّمـا صُنْدِلَ أَوْ مُسِّكَا

---

(١) الرسالة المصرية ص ١٨ ورواية البيت الأول « ولقد طربت إلى ... » وفى البيت الرابع : هبت . وفى الثامن : أبصرته وكأنه . والفرند رونق السيف وصفاؤه ووشيه ، والآس نبت ؛ والرند : شجرة صغيرة طيبة الرائحة .

(٢) الرسالة المصرية ص ١٧ / ١٨ مع خلاف فى بعض الألفاظ .
وصُندل : ضمخ بالصندل ، وهو نوع من الطيب .

وقال عبدُ الله بن شَرية وأَجاد[١] :

راقَنى النِّيلُ صفـــاءً بعدَ تكْدِيرِ صفائِهْ
كانَ مثلَ الوَرْدِ غَضًّا فهُوَ الآنَ كمَائِهْ

وأَخذهُ أَبو الصَّلْت وزادَ عليه ، فقالَ فى نيلِ مصر[٢] :

وللهِ مجْرى النِّيلِ فيها إذا الصَّبا أَرَتْنابه منْ مرِّها عَسكرًا مُجْرَى
إذا مَدَّ حاكَى الوَرْدَ غَضًّا وإن صَفَا حكى ماءه لوْناً ولمْ يعْدُه نَشْرا

---

(١) ذكره ابن أبى الصلت فى الرسالة المصرية ، وذكر البيتين مع بعض خلاف فى الألفاظ .

(٢) الرسالة المصرية ص ١٩ .

الفصل الرابع

فيما يتعلق بوصف الأنهار وذكر ماقيل من التشبيه فى المراكب

ومن جيِّد ما قِيلَ فى ذلك قولُ بعضهم :

تجُـولُ على لجٍّ تيَّارها ... من الخَيْل دُهْمٌ بلا أَبْلَقِ
زَبَازبُ تَحْكى إذا مُيِّزَتْ ... عقاربَ تَسْعَى على زِئْبَقِ[1]

وأَحسن منه قول من قال :

كأَنَّها فى غَامرِ الأَمْوَاج ... عقاربٌ دبَّتْ على زُجَاج

وأَخذتُ من هذا المعنى وزدتُ عليه فقلتُ فى صفةِ نيل مصر :

فكمْ حاكةٍ تَجْرى عليه ورَوْمسٍ ... وكم مِن عُشَارِىٍّ عليه وقارب[2]
كفرْخِ زُجَاجٍ أَزْرَقٍ متجَعِّـدٍ ... جَرَتْ فوقَه للخَوْفِ سودُ عَقارِبِ

وقال ابن حمديس يصف سفينةً[3] :

طيارةٌ ولهَا فرْخَانِ واعَجَبا ... إذ لا تَزُقُّهُمـا حتَّى يَزُقَّاهَا
كأَنَّما البحْرُ عينٌ وهى أَسْودُها ... بِسَبْحها فيهِ والعَبْرَانِ جفْناها

وهو مأْخوذ من قول السلاَّمى[4] :

وميدانٍ تجولُ به خُيُولٌ ... تقُودُ الدَّارِعينَ ولا تُقَـادُ
ركبتُ به إلى اللذَّاتِ طِرْفاً ... له جِسْمٌ وليسَ لَه فُؤَادُ
جَرَى فظَنَنْتُ أَنَّ الأَرضَ وجْهٌ ... ودِجْلَةَ ناظِرٌ وهوَ السَّـوَادُ

---

(١) زبازب : جمع ، مفرده زبزب ، وهو ضرب من السفن .
(٢) حاكة وروس وعشارى : أنواع من السفن .
(٣) ديوان ابن حمديس ص ٥٦٠ والعبران الشطان .
(٤) يتيمة الدهر جـ ٢ ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦ .

الفصل الخامس

فى تشبيه الفوّارات وما شابهها

ومن جيد ما قيل فى الفوّارات قولُ السَّرِىّ من قصيدة :

رفعَتْ إلى الجوْزَاءِ فوَّارَاتِها ... عُمُدًا تُصابُ بوَثْبِها الجَوْزاءُ

كادَتْ تردُّ على الحَيا أَلْطَافَهُ ... لو لَمْ يُمِلْ أَطْرافَهُنَّ حيَاءُ

مثلُ القَنَا الخَطِّىِّ قُوِّم ميْلُهَ ... وجرَتْ عليهِ الفِضَّةُ البَيضَاءُ

وقال من أُخْرى فى المعْنى :

وسهم فوَّارةٍ ما ارتدَّ رائِدُه ... حتَّى أَصابَ من العَيُّوقِ ما طَلَبَا

كأَنَّ بركَتَهُ دِرْعٌ مضَاعفَةٌ ... تُقِلُّ رمْحَ لُجَيْنٍ منه مُنْتَصِبا

وقال ابنُ قَلاقِسْ، وأَحسن[1] :

منارةٌ للرُّخام قائمــةٌ ... عنها شَرَارُ المِيــاه مُنْفَضَّــهْ

كأَنَّهــا فازَةٌ مُكلَّلَــةٌ ... عمُودُها من سَبائِكِ الفِضَّهْ

ومن جَيِّدِ الشِّعْرِ المجْهُولِ فيها :

وفوارَةٍ رَدَّتْ على السُّحْبِ ماءها ... وزادَ على الإِخْبَارِ عنْها عِيانُهَا

إذا ما تَراءَتْها العُيُونُ حَسِبْتَها ... قناةً من البَلُّورِ فيها سِنَانُها

---

(١) ديوان ابن قلاقس المطبوع ص ٥٩ والفازة مظلة قائمة على عمود أو عمودين .

وقال الأعمى التُّطَيْلى فى أسد نحاس يغدق الماء ، من قطعة [١] :

فكأنّــه أســدُ السمّــا ءِ يمُجُّ من فيه المجــرَّهْ

وقال يَعْلِىّ بنُ إبراهيم الإدريسى فى صُوَر نُحاسٍ تقذِفُ الماءَ من أفواهِها :

وتَنْبُذُ الماءَ من أفواهِها صورٌ مِنْها وتحسِبُها والماءُ مرْتدفُ

تثاءَبتْ فى أوانِ القُرِّ واحتَفَلَتْ أنفاسُها والهَوى فى جِسْمِها كَثَفُ [٢]

---

(١) الأعمى التطيلى ، أحمد بن عبد الله بن هريرة ، من شعراء الأندلس فى القرن السادس توفى سنة ٥٢٥ ، وديوانه طبع بتحقيق الدكتور إحسان عباس ببيروت . راجع ترجمته فى قلائد العقيان للفتح ص٢٧٣ ، ونكت الهميان للصفدى ص ١١٠ ط . الجمالية . والمغرب لابن سعيد ؛ والبيت فى نفح الطيب ج ٤ ص ٣٧٣ وبدائع البدائه لابن ظافر ص ١٣٠ .

(٢) وأوان القر : أوان البرد .